

الباقية، تُسند إليها شظايا الحقيقة - شظايا الحقيقة كلها! وكان  
فزعٌ، وكان جزعٌ، وكان سكون.. ولم يك الربُّ قد خَلَقَ السَّوَالِ  
بعد.

ما جرؤتُ أن تحدِّقَ إلى شيءٍ، بل بعثرتُ نظرةً إلى أشيائها  
الفزعة. تقاعستُ حيال تراخُم الملامح التي اقتحمتها. وإذا أدارت  
رأسها ببعض قسوة لتستلَّ ناظرها من هذا الزحام أخذتُ  
أشياءها تنداح وتتحرك ويرتطم بعضها ببعض، كأنما تتراكم  
هي الأخرى لترحل. وشظايا الوعي التي تناثرتُ اتسقتُ في بُعدٍ  
آخر تصاعديّ، تنتشر عليه الذكرياتُ، وقطعُ ذكرياتٍ ما أهلتُ  
لتنكتمل، وتدلَّتُ منه أمالٌ مبتورة وأثارٌ طموحات تنزلق إثر دمعة  
كتومة وإثر زفرة تغلي. وكان سكون.

كأنما اتكأتُ، لا تنضغ فزعاً لثقل ذاك الفزع، ولا تُبدي جزعاً لعمق  
هذا الجزع. جمعتُ عينيها ككتيها، وغرزتُ نظرتها في أظفارها.  
ويحسرة ما زفرتها رثاناً قط، تلهفتُ لهفةً عشرين جيلاً ومجازراً!

ليت يا مرنوش<sup>(١)</sup> قد طالت أظافرنا!

ليت يا مرنوش قد طالت أظافرنا!

أنا ما ادخرتُ لهم كلاماً ما استهلكته مآسي الناس...

وما طالت أظافرنا!

لهفي على عينٍ تعاتب: «أين كُنتم!»

لهفي على زند تُوعد: «كيف هيئتم!»

ليت يا مرنوش قد طالت أظافرنا، لنقول: كنا في سبات!

فأنا ما عدتُ أفهم! ألسنا نتحدر ممن تعقبوا الدِّيم حين تمنَّعتُ،  
فابتغوا خراجها؟ أم أنا نتحدر ممن أناخوا الوعي إذ سقفوا  
السماءَ لتنبسط، لنصطاد التاريخَ والعُيُمَ والتقدمَ والدُّبِّيَّةَ والغلبةَ  
والسلطانَ المسلولَ والرحمةَ والنصرَ المقدَّمُ والمؤخَّرُ، فكندا نرتطم  
بالصخر الذي بُنيتُ عليه، والصخر الذي يُمتطى في اللحم الكبير  
ليحوط أموهاً تضيق المحيطاتُ عن بلعها، وقد وعدنا بأن يدفقاها  
طوفاناً يهول البغاة مذ اشتبقوا التفاح وهموا به.. إلى أن تشقق  
ثرى المستنقعات وديست القمم؟!

كنا نرصد النجوم، ونسترق النظرَ إلى «بنات نعش» حين سرين  
على درب التبن، وإذ باثنتين تتخلفان وتختفيان خلف ثنية  
الهزيع، فتثيران همسَ الأخرى ببعضٍ إنم أو ببعض ظنٍ.  
وكانت العيون شبيقةً تزرد الأبعاد، وكانت الأذانُ مُرهفةً سكرى  
بلذة هذا الهمس. وانتظرنا، وانتظرنا، وعلا الضجيج، واشراَّبْتُ  
أعناقنا، وخفَّتُ كخافئنا، وتسامى صبرنا، فالهمسُ صار  
صاعقاً، وعلا ضجيجُ الرجم.. ويا مرنوش، ما ظلوا وما طالت  
أظافرنا! ما عدتُ أفهم يا مرنوش كيف تُحزَمُ الملامح، بل كيف



وبالرغم من التساؤلات نقول: نعم لتناغم الجزء بالكل، نعم للفرح  
والأمل، نعم لقطار الزمن. أو نقول أيضاً إنَّ الأيام الأجل لم تات بعد ؟  
كل التحية.

## تساؤلٌ تجسمٌ عبر قنطرةٍ مستوية

د. كميل حنا مخول ❖

تحثُ الخطى بحثاً في الزمن الكتوم الذي حطَّ، فحطَّم، فتحجَّر،  
فأمحى من الذاكرة. عادت لتنتزع منه تساؤلاً لم يتفجَّر، علها تعود  
لذاتها بجواب، وتعود بمعلِّمٍ فمعلِّمٍ فطريق... ووصلت!

تقف على عتبة البيت، لتدخل إلى الخارج، أو لتخرج إليه سيَّان،  
عُبر قنطرةٍ ما زالت متماسكة. وأكوامُ الردم تحيل القنطرةَ عينٌ أم  
تترقب، تجوب المسالكَ ظمأى لظل أنيس.. وتشيح بنظرها عن  
ملامح درب لم يعد درياً حين أمحت كلُّ معالم الطريق. فلم يبق غيرُ  
بضعة «بيوت شوك» تشبَّثتُ بمِرْقٍ مناديل الجارات، وبلعبة طفلٍ  
رأسها حصوةٌ حوصرتُ بقصاصه من زِي عتيق. ويلوح من بعيدٍ  
حبلٌ غسيل صُفَّت فوقه الأثوابُ خشيةً الجفاف، تنفض عنها شمسُ  
حصارٍ لافحة، لئلا تزيّف لونها الناعس فتحيله مهيناً وفاضحاً.

وقفتُ، والعتبة تحت قدميها هي الحقيقة الوحيدة التي صقلتها  
الأقدام يوماً بعد يوم، وجيلاً في أعقاب جيل. هي قطعة الحقيقة

❖ باحث في البيولوجيا الجزيئية البنيوية، الجليل الأعلى، فلسطين المحتلة.

١ - أحد أهل الكهف في مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم (١٩٤٠).

كيما تملّ النومَ عينٌ تتحفّز للفرح!

وأتى..

ما شدّ عن حشد الأماسي إذ أتى

إنما.. طال المساء

كلما ظنوه ينأى يتجدد

وتراءى لهم أضغاث نوم

وعندما نسف المعالم قد تجسّد!

وجاء من بعد المساء

ما شدّ عن حشد الليالي حين جاء

فلم يللم غير أعقاب المِحن

ويركنها بين القناطر جمرة

ليفجّ منها بعض وعي الحقيقة!

ووعيت يا مرنوش حين أقصّوا ذاتنا عن ذاتنا

يوم استباحوا همستنا وصادروا أسرارنا

فباعدوا ما بين أمس والغد

وسمّروا أهاتنا

وشوّهوا أسماعنا واستنسخوا سماتنا

كم تاقّت الأذانُ فينا لبعض همس

فقاومنا وقارمنا لنحفر بعضَ ذاكرةٍ وديعتنا إلى المطلق

نوائمها بأمنية

لعلّ النفعَ في الذكرى.

فلم تورقُ أمانينا

وَأُذْنَا بالفرار إلى في المنابر

لنُسقى كأسَ تدجين الضمائر

ونسلكَ نهجَ تفرغ المهج

لعلنا نمسي الحدود.

وهناك يا مرنوش قد رَجوا بطموشي وغدي في دائرة

لأجوب محورها العقيم

مسبّحاً لله أني «الحدّ»

فإنّ حل القرار يقول: ذاك الحدّ... فلأقمّ ميعادهم!

وصحوتُ،

وصحوتُ يا مرنوش حين تفتّح الحجرُ الملقّع بالركام وبالأماني

وهبّبتُ أهتف لدروبِ دافقاتِ صوب أصفاد الوطن:

تموز<sup>(١)</sup> قام مظفراً

تُهزم الملامح، وكيف يهجرنا الوطن. رحلوا.. وقد رحل الوطن.

والحق أنّا لم نعيّن نواظيرَ للوطن! ولما نعد فزاعةً للكُرّم بلهَاء

مثيرَةً.. إنما صرنا - وقد رحلوا - علامةً مسّاح تشي بموقع

اقتطاع مَنْ رحل!

رحلوا.. وقد رحل الوطن!

ما زلتُ أجهل يا مرنوش مَنْ منهم يلاحق مَنْ..

رحلوا وفوق أكفهم وطنٌ ما نَجّته وما ترجل!

وطن يلاطمُ مخزراً في كل ساح

ولكلّ ساح مخزّره

فيفرّ من قَصْرِ لشهرٍ قاتم

ويفرّ من هَرَمٍ يطارد فجره

ويفرّ من تلٍّ يكبل معصمه

ينسلّ من كل الوثائق والمنابر والخطب

ويشدّ كلّ مفاصله

ليعود يُلطم مخزراً في غير ساح

كي ما تُخطّ الخارطة...

لهفي على طفل يقاتل!

لهفي على زمن سيأتي ويسائل:

كيف اخترزلتَ لذاك الطفل تحليقَ الطفولة

وكيف شددتَ في خديّه مرونةً تضحك

وكيف وأدتَ في عينيه طاقات الفرّح؟

أذكر يا مرنوش، لكنّ لستُ أفهم! عندما انقضّ الفضاءُ الرحبُ

صاعقاً كما بدا، ليُطلق ما حوصر منه تحت السقوف وبين خلايا

قمح وسكر. كانت عيونُ الأطفال تُعَبّث به عبر دهور، فيحدّد

الأحلامَ والهويةَ واللامح، ويؤكد الانتماء - كلما رحل مساء...

وأتى!

ما شدّ عن حشد الأماسي إذ أتى

يتلوى... يتناب

يللم ما تساقط من تفاصيل النهار

ويركنها تحت الوسائد خلسةً

تلهو بها أنامل الليل

لتحيك منها لكل عينٍ حلمها

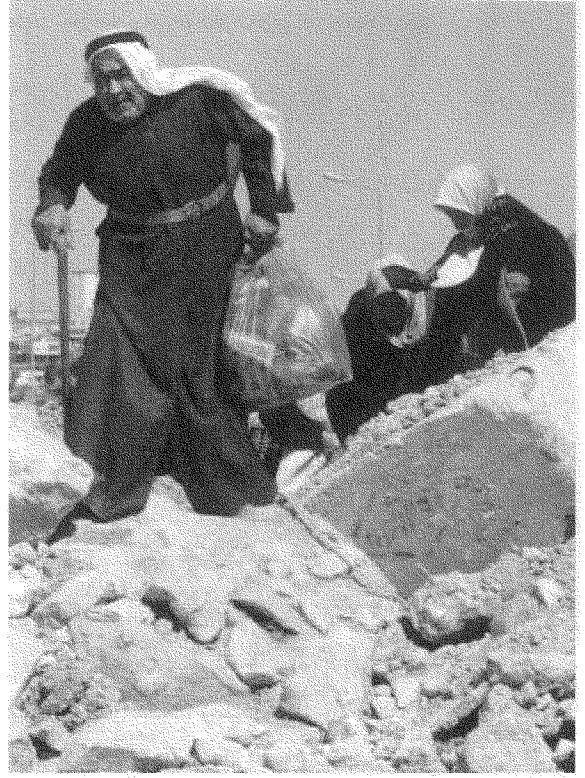
وتمدّه بما اتفق

١ - الإله المحيي الخير في أسطورة جلامش السومرية. كان يكرّم في الخامس والعشرين من يناير احتفالاً بتحرره من قيود مملكة الموت (البرد). وتبدأ الحويّة تدبّ في عروق النبات والأحياء بتحرره.

وجننتُ!

وجننتُ يا مرنوش إذ بدا يفتاح<sup>(٢)</sup> بيني مذبحه  
لم أدر أنني كنتُ أولَ مَنْ يهبُ ومَنْ يزغردُ في الشوارع  
حتى أنبرى يفتاح يُشعل مذبحه!  
ليضحى بكرُّ أفراحي أضحياً في المقصلة!  
عشتار عادت كي تلملم حملها:  
تموز غاب.. ولن يعود  
فزفرتُ خوفاً وقد تعنقُ في ثناياي وأشقى  
تموز غاب ولن يعود!  
عادوا وقد رحل الوطن!  
ولما أعد فرأعةً للكرم مثيرةً  
فهناك يا مرنوش قد زجوا بغدي في الدائرة  
لأجوب محورها العقيم مردداً للناس  
أني جزء الذي ما ينبغي أن يلتئم  
وأجوب محورها العقيم تهيؤاً للقادم  
من زمن يعيدني دائماً للحاضر!  
اليوم يا مرنوش يمكنك الرقادُ المستطيل  
فأنا مسجى في فراغ لولبي  
لا هتافي قد يقض مضجعاً  
ولا سؤالي يستثير النائرة  
هوذا يفتاح يقايض أن تسوى القنطرة  
بطي أمسي وغدي والذاكرة  
الآن يا مرنوش قد زجوا بغدي في الدائرة  
يفتاح خطُّ الدائرة  
يفتاح خطُّ الدائرة!

مخول - البقيعة  
(أعالي الجليل)



تموز عاد!

تموز قام مظفراً

تموز عاد لألتئم

تموز قام لألتحم

تموز قام مظفراً

تموز عاد!

فنفضتُ خوفاً والتزاماتِ البرامج الهجائن  
وعدوتُ أختزلُ المسافات الطويلة من غدي المتجمداً!

عشتار<sup>(١)</sup> واقفتني بأحمال من الزمن الخصب

لأعيد تخطيط الدوائر مسلكاً لطفولة تتمهل!

فرقّصت دمعِي، والمجازر

وشدوت كبتِي وجراحي وحنيني

وصلبت أناتي مسمرة

جسراً لغدٍ حتماً سيفرق في الضحك!

تموز قام مظفراً

تموز عاد!

تموز قام مظفراً

تموز...

١ - إلهة الخصب.

٢ - الملك القائد الذي نصره الإله في معركته الفاصلة ضد عدوه، فنذر أن يقدم أولَ كائن حي يصادفه في مداخل مدينته - مملكته - قرباناً. وبشاء القدر أن تكون ابنته - وحيدته - هي أولَ مَنْ يهبُ فرحاً لملاقاة أبيها المنتصر. (بنت يفتاح، لسعيد عقل)